النباتات المصرية

القديمة : الفواكه

للدكتور حسن كمال

﴿حدائق الفاكهة﴾ كانت المعابد المصرية القديمة الملحقة بالمقابر وكذا صور العظماء تحوي في أغلب الاحيان تكاعيب العنب (الكرم) . اما الفلاحون فكثيراً ما زرعوا الكرم بالقرب من منازلهم وفي حقولهم ليستريحوا في ظله من عناء العمل وقت الظهيرة . ومما يشير الى شدة عناية القوم بالفواكه ما ورد في خطاب لناظر زراعة سجّل به محصول حديقة الفاكهة التابعة لمعبد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م .) من ان اشجاره الملكية انتجت ١٠٠٠٠ قفة من فاكهة الرمان و ١٠٠٠٠ قفة من العنب . وجاء في موضع آخر انه تمكن من استخراج ما مقداره ٣٢٥ لتراً من النبيذ و ٢٥٠٠ لتراً من عصير الرمان و ٢٥٠٠ لتراً من شراب يقال له مورت (قرطاس انسطاسي ٤ — ٦ و ٧) وجاء بقرطاس هريس (١٩ ب ١٣ — ٢) ذكر لمقدار ١٥٥٠٠ قطفة من الرمان للمائدة و ١٢٤٠ شوال من الرمان لاغراض اخرى و ٣١٠ آنية من الزيتون . وجاء بقرطاس هريس ايضاً (١٥ ب ٣) ذكر لتعداد ١٣٥٢ مكيالاً كبيراً من الزيتون يظن انها جمعت لاستخراج الزيت . هذه المقادير العظيمة دليل كاف على عناية القوم باتماء اشجار الفاكهة

وتلاحظ على الآثار التي يرجع تاريخها الى ما قبل حكم رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) رسوم لسلال مملوءة عنباً (مقبرة نخت — دبغير ٢٢ — ٢٥) . وورد بمقابر سقارة أسرة خامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م .) ذكر لاشجار الجميز والبلح والدوم والتين وغير ذلك

ويستنتج من رسوم الحدائق المصرية القديمة انها مقسّمة الى عدة اقسام تفصلها عن بعضها ممشى مظلّلة بالاشجار وتروى بواسطة قناة صغيرة متصلة بالنيل . والحدائق صروح جميلة المنظر وبالقرب من المدخل تشاهد عادة حجرات البواب والمستخدمين والسلالك . تلي ذلك تكاعيب العنب (الكرم) ثم عدة حجرات او اكشاك للاستراحة . وحول التكاعيب تزرع عادة صفوف من النخيل

والدوم . وكثيراً ما يزرع هذان الاخيران حول الحديقة من داخل السور ايضاً . وتوجد حياض المياه في وسط الحديقة او في جوانبها . وكثيراً ما يتمكن الباحث من تمييز شجر الرمان والتين من بين اشجار الفاكهة بالشكل الواضح لكلٍّ منهما . اما تكاعيب العنب (الكرم) فكانت مقامة على اعمدة خشبية منتظمة التركيب بشكل شوارع او ممشى غاية في الاناقة وسلامة الذوق

***

(العنب) ويقال له باللاتينية (Vitis Vinifera) وبالانكليزية (Vine) كان يزرع في مصر منذ اقدم العصور التاريخية . فاستعمل القوم رسم تكعيبة العنب حرفاً في الخط الهيروغليفي الشيق . قال ديودورس الصقلي (ج ١ — ٢ — ٨) ان ازوريس هو الذي علّم زراعة العنب بالارض وعلّم الناس صناعة النبيذ . لذلك اعتبره القوم اله الكروم ورمزوا له بغصن العنب . قال فلوطرخس (رواية ازوريس وازيس ٩) ان المصريين اعتبروا النبيذ مثلاً لدم الاعداء الذين قهرهم آلهتهم وهذا هو السبب الذي حمل اليونانيين في اواخر التاريخ المصري القديم على تشبيه (ازوريس) بمعبودهم (باخوس) وجعل القوم ايضاً يرسمون (ازوريس) جالساً تحت تكعيبة العنب[1] . ولنفس السبب ايضاً تعزى عادة تقديم العنب لازوريس[2] . ووصف الاستاذ بايه (Baillet) تمثالاً لازوريس يمثله عارياً لابساً قلنسوة طويلة مدببة على رأسه مائلة نوعاً الى الوراء ومطوقاً صدره بكوفية وحاملاً سلة على ظهره شبيهة بالمستعملة في جني العنب وواضعاً احد اصابعه في فمه ومتكئاً بيده الاخرى على مقدار كبير من العنب يملوه ملكٌ ماسكٌ راقصاً رأسه ويملو رأسه قرص الشمس وفسّر ذلك الاستاذ (بايه) بان هذا التمثال يمثل ازوريس إله الموتى في مملكته الزراعية ومنسوباً اليه فيها زراعة العنب

وجاء في مجلة المعهد المصري العلمي (١٨٨٤ سلسلة ٢ رقم ٥ ص ٢٣ رقم ١٨) ان الزبيب (المعروف في بلاد الشام بالعرّق) الذي عثر عليه في احدى المقابر المصرية القديمة هو من النوع الاسود انكير الحجم واستدلّ من تباين احجام بذور هذه الفاكهة على انها من انواع متعددة على الارجح . وعثر على كثير من اوراق العنب بالمقابر المصرية طبقتها الداخلية ملوها شعور بيضاء دقيقة (مجلة المعهد المصري ١٨٨٥ سلسلة ٢ ص ٢٦٩) مما يميزها من انواع العنب التي تزرع الآن

والمعروف ان العنب من الفصيلة الكرمية (Vitaceae) التي تشمل الآن اربعين نوعاً اقدمها النوع المصري القديم المعروف باسم (Vitis Vinifera) واليه ينتمي نوع العنب المعروف باسم (Silvestris) المنتشر على سواحل البحر الابيض المتوسط والواصل حتى بلاد القوقاز شرقاً والمانيا شمالاً والمعتبر الآن اصل العنب الحديث

(١) Budge, By Nile & Tigris I p 336 pl.

(٢) Bibl. Egyp. t XVI p 3.

وورد عن اليونان انهم صنعوا النبيذ بكثرة في عهد (هوميروس) فاستدلّ بذلك على كثرة زراعة العنب هناك وتكاثره . ولا بدّ ان تكون زراعة العنب وصلت ايطاليا من عهد بعيد ايضاً . والغريب ان العنب المصري القديم هو المزرع أيضاً ببلاد امريكا بولاية كاليفورنيا وذلك بكثرة ويقال للعنب بالمصرية القديمة (يارورت)

* * *

٢ — ﴿ الرمان ﴾ ويقال له باللاتينية (Punica Granatum) وبالانكليزية (Pomegranate) اقدم رسم لشجرة الرمان على الآثار المصرية هو الوارد بمقبرة في تل العمارنة من عهد اخناطون (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق . م .) (يتري تل العمارنة ل ٣٢) . واورد الدكتور أونجر Unger رسوماً لهذا النبات مأخوذة من مقابر طيبة . قال پلينوس (١٣ — ٣٤) ان رمان صاموس يمتاز عن رمان مصر بان اوراق احدهما حمر واوراق ثانيهما بيض . ويستدل على كثرة زراعة الرمان بمصر من العبارة الواردة بقرطاس انسطاسي (٤ — ٦ — ٧) ومضمونها ان ما جمع من الرمان من احدى الحدائق وقتئذ بلغ عشرة آلاف قفة . وقد عثر الاثريون على كثير من فاكهة الرمان من تلك العصور . ودور تحف اوربة تحوي ثمار هذا النبات (فلورنسا رقم ٣٦٠٨ وبرلين رقم ٤٤٩ ولندن رقم ٥٣٦٧ وليدن رقم ٢ — ٣ و٦ الخ)

واكل القوم الرمان كفاكهة وصنعوا منه شراباً سمّوه (شيدو) (لوريه نبات مصر القديمة ص ٧٨) وذكروه دائماً مع النبيذ . قال المرحوم كمال باشا ان محصول بستان رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م .) كان يشتمل على عنب ورمان وثلاثة انواع من الشراب هي النبيذ العنب (اي عصير العنب) والنبيذ المعتاد وشراب الرمان

ووردت وصفة طبية لمستحلب مصنوع من جذور الرمان واخرى من قشر الرمان قصد طرد الديدان المعوية . فقد جاءت بقرطاس ايبرس (ل ١٦ س ١٥ و١٨) ان قشر ثمرة الرمان اذا مزج بالماء وعُصر ورُوّق وشُرب دفعة واحدة طرد الديدان المعوية . ولا يزال هذا العلاج مستعملاً في الطب الحديث مع بعض التعديل

واول من ذكر الرمان عند اليونان هو ديوسقوريديس (١ — ١٥٣) . وفي عام ١٨٠٧ ادخل بوكانان (Buchanan) استعمال قشر الرمان في الطب الاوربي

والمعروف عن هذا النبات انه قديم جدًّا . وقد ورد ذكره بالتوراة . واسمه عند الرومان (Malum punicum) مما يشير الى انهم عرفوه من قرطاجنة (Carthage) كما رواه پلينوس ومن هنا نشأت الفكرة بان الموطن الاصلي لهذا النبات شمال افريقيا

قال المرحوم كمال باشا (لآلىء درية ص ٣٠ و ٣١) ان الرمان ليس مصري الأصل وان اسمه بالمصرية القديمة هو (إنهمان وإرمان) — والى الاسم الاخير يرجع لفظ رمان — والغالب انه من بلاد فارس . قال لوريه : والهيكسوس هم الذين ادخلوه مصر حينما ادخلوا اليها الخيل من آسيا وذلك في العصر (١٧٠٠ — ١٥٠٠ ق . م .) لان أقدم رسم للرمان هو الوارد في عهد إخناتون (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق . م .)

* * *

٣ — ﴿ الجميز والتين ﴾ اما الجميز فيقال له باللاتينية (Ficus Sycamorus) وبالانكليزية (Sycamore) وكان مقدساً عند قدماء المصريين (هرم اوناس س ٥٥٥ ونتي ٣١٦) وخصوصاً في القسمين الخامس والسابع من الوجه البحري . وحيث كانت شجرة الجميز من اقدم الاشجار المصرية واشهرها جُعل اسمها (نهي) علماً على مصر فسميت مصر (نهي) ايضاً وكثيراً ما رسم القوم شجرة الجميز والمعبودات (نوت) و (حتحور) و(نايت) خارجة منها . وورد عن الكاتب (آني) انه لما توفي كان يستظل في الآخرة تحت شجرة الجميز (Rec. de Mon. Ip 30) وزعم القوم ان ازوريس دفن في تابوت من خشب الجميز (Rec. de trav. LII 55)

من ذلك يتضح ان الجميز مصري الاصل . ووجد من ثمره مقدار جاف في المقابر وسلال مملوءة بثمره وورقه في توابيت المومى . وكان يصنع من خشبه التوابيت والاثاث والتماثيل . وكثيراً ما تشاهد اشجاره مرسومة على جدر المقابر . وفي بني حسن — اسرة ١٢ (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م .) رسوم يستدل منها على كيفية جني ثماره . حيث تشاهد شجرة جميز كبيرة خالية من الاوراق بين افرعها ثلاثة من القردة تجني ثمرها وتلقي به على الارض فيلتقطه رجل في سلال معه . وتأكل البقية بينما الاخرى

وكثيراً ما ورد الجميز في وصفات الادراج البردية الطبية بخصوص مرض المعدة والامعاء وجميع متاحف اوربا تحوي بعضاً من الجميز المجفف من العهد الفرعوني . محفوظة جيداً

* * *

﴿ واما التين ﴾ فيقال له باللاتينية (Ficus Carica) وبالانكليزية (Figs) ورد مرسوماً على موائد المومى ضمن القرابين واستعمله القوم في الطب (لوريه نبات مصر القديمة ص ٤٧)وصنعوا منه نبيذاً (ماريت — مصطبة ص ١٨٠)

والتين والجميز من فصيلة واحدة اسمها باللاتينية Ficus ووجد شوينفورت بالمقابر المصرية التين المتاد

ولتين عدة اسماء بالمصرية القديمة منها (تون) وهو أصل لفظ تين على الارجح — كمال باشا (لآلىء درية ص ٣٠٠)

***

﴿ ٤ — البلح ﴾ ويقال له بالانكليزية (date) وجدت منه قديماً انواع عديدة بوادي النيل (تيوفراستوس تاريخ النبات ٤٢٢ — ٨ و ٩ و پلينوس تاريخ طبيعي ١٣ — ٩) وورد رسم النخيل في عدة مقابر مصرية قديمة (روز اللبني ج ٢ ل ٦٩) والنخيل المصري القديم يعرف في اللاتينية باسم (Phoenix dactylifera) وبالانكليزية (date palm) وعثر (دي مورجان) على نوى البلح بمصر من العهد الحجري [1] وميّزه (شوينفورت) و (پتري) على الآثار [2] قال استرابون (١٧ — ٨١٨) ان اجود انواع البلح هو المزروع بالاقصر

وصنع المصريون اصنة سيدي ساحورا [3] وادفو بريشة النخيل . وزيّن القوم حدائقهم بهذا النبات البديع (قرطاس هاريس ل ٢٧ س ٢) كما وجد مرسوماً على صحيفة قبر (Stela) بدار تحف القاهرة [4] وأكل المصريون البلح غضًّا (قرطاس هاريس ٢١ — ب) ومجففاً (هاريس ٤٤ — ١ — ٩) ومسكّراً في عسل النحل وعجوةً (هاريس ٢٧ — ١ — ٥) وصنعوا كما صنع اهل العراق منه نبيذاً هو اصل مشروب العرقي . قال المرحوم كمال باشا (بغية الطالبين ص ٣٤٣) ان المصريين صنعوا منه ايضاً عسلاً سموه (اني — نت . بتر)

***

ووصف القوم البلح في قراطيسهم الطبّية كليّن (ايبرس ٧ — ٧) وكندرّ للبول (ايبرس ٤٨ — ٣٢) واخذ ذلك عنهم پلينوس حيث اشار باستعمال هذه الفاكهة في امراض المثانة والمعدة والامعاء (تاريخ طبيعي ٢٣ — ٥١) وصنع القوم من الياف النخيل الحبال . واسطول الملك ساحورا (٢٥٥٠ ق . م .) كان يستعمل حبالاً لسفنه طول الواحد منها ثلاثمائة ذراع (قرطاس تورينو ١٠١ ـ ١ ـ ١ و ٩) مصنوعة من الياف النخيل « غاية في المتانة » على حدّ تعبيرهم . (قرطاس تورينو ١ ـ ٤) . واستعمل ايضاً للتسبيل (ديمخن ٤) حيث ورد فيه العبارة الآتية « تغسل درن رأسه وتنظف رجليه بليف النخيل » واتخذوا منه ممسح لنظافة الاشياء الصلبة . اما اسم الليف بالمصرية القديمة فهو (شو)

---

(١) Recherches, vol II pl 69 (٢) مجلة العهد العلي المصري سلسلة ٢ سنة ١٨٨٢ ج ٣ ل ٧٤ وسنة ١٨٨٤ ص ٢٠٨ (٣) بور خارت — مقبرة ساحورا ج ٢ ص ٥١٦ (٤) ماسپرو تاريخ الشعوب الشرقية ج ٢ ص ٥١٦

واما جريد النخل (rami palmarum) فاستعملوه في صناعة العصي والاقفاص والكراسي الخفيفة واسمه بالمصرية القديمة (ياعيت)

واما الخوص فصنعوا منه الحصر والسلال ونعال الموتى . لانهم اعتقدوا ان الميت لا بدّ وان يكون سعى لمعيشة في دنياه فدنّست باطن رجليه فلا ينبغي ان يطأ بها الدار الآخرة الا اذا نبس نعالاً او سُلخ جلدها . ومن ثمّ كان وجود النعال مع الموتى كثيراً في المقابر (كمال باشا — بنية الطالبين ص ٣٦٠)

ويقال للبلح بالمصرية القديمة (بز) وللنخيل (إم)

وانتشر النخيل من قديم الزمان في المناطق الممتدة من الهند شرقاً الى جزائر الخالدات غرباً لكنه لم يصل الى جنوب اوربا الا اخيراً . ولما كان ثمارها لا تنضج بتلك الجهات انحصرت فائدتها عند هؤلاء القوم في استعمال جريدها في (عيد السعف) المسيحي . بعد ذلك نقلها الاسبانيون الى امريكا حيث تزرع الآن في جنوب الولايات المتحدة والمكسيك

***

٥ — ﴿الدوم﴾ ويقال له باللاتينية (Hyphene thebaica) وبالانكليزية (Doum-palm tree) وجد ثمره بكثرة في المقابر المصرية القديمة مثل كاهون بالفيوم لان القوم كانوا يقدمونه قرباناً لموتاهم ويأكلونه هشّاً وحشفاً ومعجوناً . قال استرابون وكانوا يصنعون من ورقه حصراً . ويوجد بمتحف (فلورنسا) زوج نعال مسجل تحت رقم ٢٧٠٣ مصنوع من خوص الدوم . وكانوا يتخذون من جذوعه عمداً طويلة يحلّون بها معابدهم ويرسمون عليه كثيراً من آثارهم بجوار النخيل لانه من الاشجار التي كانوا يزينون بها بساتينهم . قال (ماريت) وكان الدوم مقدّساً عندهم ويطلق عليه اسماً بدليل العبارة الواردة بقرطاس سالبير (رقم ١ لوحة ٨ س ٤) وتعريبها « ايتها الدومة الشاهقة البالغة ستين ذراعاً المحملة بالثمر ذي النوى التي تحوي داخلها الماء » . وورد ذكر الدوم بقرطاس ايبرس اثنين وثلاثين مرة ضمن ادوية متنوعة التركيب

اما اسمه بالمصرية القديمة فهو (ما ما)

***

٦ — ﴿التوت﴾ ويقال له باللاتينية (morus) وبالانكليزية (mulberry). قال (شويتفورت) ان التوت الابيض أصلي في مصر اما الاسود فكان نادراً لعدم غرسه فيها . ومع ندورته فان (فلندرس بتري) وجد بعضاً منه في مقابر هوارة . قال (لوريه) والظاهر ان هذين النوعين اصليان في مصر وان المصريين يسمون الابيض بالمصري والاسود بالشامي (كمال باشا آل ء درية ص ٩٧)

٧ — ﴿ السدر ﴾ (نبق) ويقال له باللاتينية (zizyphus spina christi) وبالانكليزية (jujubus) . ويقال لثمره النبق . وجد هذا الاخير في المقابر المصرية القديمة بكثرة ونقل منها الى متاحف اوروبا . ووجد (ماسپرو) في الجلين بعض من النبق واوصلها الى الاستاذ «شوينفورت» لبحثها « مجلة المعهد المصري ١٨٨٥ سلسلة ٦ ص ٢٦٠ » . وعثر فلندرس پتري على نبق بمقبرة كاهون كان مقدماً قرباناً للموتى . وضع القوم منه خبزاً . ودخل النبق ضمن ست عشرة وصفة طبية بقرطاس « ابرس » . واتخذ القوم من خشبه مقابض للمراوح . وكانت بلاد النوبة بلدة تسمى « پي نبس » أي مدينة النبق فلعله كان كثيراً فيها

ويقال للنبق بالمصرية القديمة « نبس »

***

٨ — ﴿ البطيخ ﴾ اسمه باللاتينية (Citrullus Vulgaris) ورد مرسوماً بكثرة على الآثار وملوّناً بالاخضر . كذلك التمام ورد على الآثار ملوّناً بالاصفر . وكان قدماء المصريين يزرعونه بكثرة واورد الاستاذ (اونجر) « نباتات مصرية قديمة شكل ٣٠ و٣١ و٣٢ » رسوماً لهذا النبات. ووجد في تابوت الكاهن « نبسني » ورق البطيخ كاسياً للموميا « مجلة المعهد العلمي المصري ١٨٨٢ سلسلة ٢ ج ٣ ص ٧٣ » . وعثر على بزوره في مقبرة مصرية قديمة . ومنه ايضاً في متحف برلين . واسمه بالمصرية القديمة « بدّوكا » وهو اصل لفظ « بطيخ »

وهذا النبات من الفصيلة القرعية المعروفة باسم (Cucumis melo) وبالانكليزية (melon) أو (Musk melon) اما البطيخ فنوع من هذه الفصيلة ويعرف بالانكليزية باسم (water melon) او قاوون الماء وبالفرنسية (pastèque) وبلغة جالينوس « القثاء التضيح » . والغالب ان افريقيا هي موطن البطيخ الاصلي لانه معروف في مصر من اقدم الازمنة . وكان معروفاً قبل الميلاد ببلاد آسيا وجنوب اوروبا

***

٩ — ﴿ فواكه دخيلة ﴾ ادخل المصريون في مصر كثيراً من اشجار الفاكهة من الاقطار المجاورة وزرعوها فيه بنجاح (برستد نصوص مصرية قديمة ـ ٢ ـ ٤٥٠) . ولا تزال جذور شجر المرّ موجودة بحديقة معبد الدير البحري بالاقصر . وهذه الاشجار استحضرت من بلاد الصومال في مواعين كبيرة . وفي المدة بين الاسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) الى الاسرة ٢٦ « ٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م . » . دخلت مصر الاشجار الآتية « لورية — نبات مصر القديمة ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ١٠١ »:— اللوز . الوالح . الليمون . الجوز . البندق . الخوخ الكمثرى . التفاح

وعلى ذلك فكل هذه الفواكه الاخيرة اجنبية الاصل